كلمات سبارتكوس قبل الاخيرة

أمسي الليل علي المعسكر بعد أن هدأ القتال . الهدوء الذي سبقه موت أعز أصدقاء سبارتكوس . كنتُ أطمح أن أكون معه ، أري ردة فعله عند سماعه الخبر لكن لا بأس ففي مخيلتي لم يزد عن كونه احتسبه شهيدا للحرية التي شغف بها قلبه .

ولكن عندما تحدثَ إلي فاست[1] . أخبرني أن سبارتكوس ما إن علم هذا الخبر حتي خر إلي الأرض طالبا من الجميع تركه مع زوجته فارينيا مرتميًا في صدرها يبكي بصوت مسموع لكنه لم يكن أعلي من صوت دقات قلبها المتواترة حبًا وخوفًا في آن .

صمت فاست ونظر إليَّ أن ، لا تستحثيني علي الحديث فقد كان هذا كل ماورد إلي علمي ومضي . كأنه قد مضي ليسهلَ لي مهمة تخيل ما حدث فيما بعد . أدهشني تأكيده أن هذا الموقف هو ماسبق معركة سبارتكوس الاخيرة التي خاضها وهزم فيها فصُلب حتي الموت .

لكن لا بأس ، فقد تخطيت زماني ومكاني حتى أن لا أحد قد لحظني . لا لأنني بلا قيمة فقد كان سبارتكوس شريفا نقيا يحترم الجميع ، بل لأن حضور فارينيا في قلبه كان أكبر من الجميع حتي من الحرية ذاتها . لك أن تري بنفسك ما أعقب احتضانها له . كان يعبث بخصلاتها الصفراء ليطمئن أنها لازالت هنا فوق رأسها ، يتفحص جسدها ليتأكد أنه سيتركها في أحسن حال لتنعم بالحياة بعده .

–تزوجي

–كيف اتزوج وأنت زوجي ؟

–سأموت غدا . احزني قليلا وافرحي كثيرا وتزوجي . اجعلي لوليدي الذي في أحشائك أخوة له منك حتي لا يكون وحيدا بعدنا .

–لكنني لا أستطيع أن أتخيل رجلا في قلبى سواك فكيف أسمح له أن يضع بعض نفسه فيَّ؟ ثم كيف تموت غدا وأنت تحب الحياة ؟

[1] المقصود هنا : هوارد فاست مؤلف رواية سبارتكوس "ثورة العبيد" – ترجمة أنور المشرى

iCulture
Empowering creative minds

-وهل يمنع حبي للحياة موتي؟ أو يمنع حبك لى موتى؟ بل هو يمنع حزنَك

-سبارتكوس . أرجوك . أنا حبيبتك فارينيا ، لا تقسو عليَّ بمثل هذه الكلمات التي لا أفهم منها شيئا . أنت تعذبني. تزيد حيرتي

-بل أزيد في تدليلي لك يا حبيبتي

نظرت إليه فارينيا فزعة ، تتساءل عيناها كيف؟

-ألا تعرفين كيف؟

-سبارتكوس . هل أثَّر موتُ الصديق فى عقلك فجعلك تهذي أم أنني من شدة خوفي عليك أصبحت لا أفهمك وهذه هي المرة الأولي التي يصعب عليَّ فهمك فيها ؟!!

-حبيبتي . الأمر بسيط . سأموت غدا وستضعي طفلَنا بعد شهرين وتتزوجي بعد عام وتنجبين ذكورا وإناثا أحرار وإن كانوا فقراء . هل تظنين هذا بالأمر المستحيل؟

-سبارتكوس . يارجلي . هب أن هذا يحدث . لا قدرت الآلهة ولا كان . فكيف يكون هذا تدليلا لي؟ أتدلل زوجتك بأن تحثها علي أن تكون امرأة غيرك؟

-بل أدللها بأن تكون دائما إلي جانبي حرة . اسمها مقترنا باسمي حتي لو أصبحت زوجة لأخر فلا ذكر سوي لسبارتكوس وزوجته فارينيا . ستتسائلين كيف؟ وسأقولها لك ببساطة : "بألسنة الناس" . فهل تظنين الناس تنسي ما حدث ؟ إن كنا سنفشل غدا في تحقيق حريتنا وتدمير روما فهذا منطقي . معقولٌ أن تغدو القوة أقوي لأنها قوة . لكن الحق أحق لأنه حق . ولأن حريتنا حق فهي العليا وقوتهم هي السفلي . لا لا تندهشي . هذا هو الأمر . سيصمت الناس بعض الوقت لا لأنهم قد نسوا بل لخوفهم وجبنهم ونحن لم نستطع أن نبدل خوفهم أمنًا فلا نملك حافز سوي الحلم . سيصمتون وتمر السنون ويتوالي الرجال علي روما ظانين أن الأمر انتهي لكن الحرية في نفوس البعض تتوالد حتى يغدو طفلنا رجلا ، ويقرع اسم سبارتكوس آذانهم حتي يصموا عن خوفهم . لا ليس أنا بل سبارتكوس وليدنا . نسيتُ أن أوصيك بتسميته باسم ابيه ولا تكفِ عن قص حكايتنا حتي لا نموت أنا وأنت.

iCulture
Empowering creative minds

–لكن سبارتكوس. هناك شئ واحد لا أفهمه ...

– قاطعها قائلاً: حبيبتي أعلم فلازلت مستمرا في حديثي إليك . اووه قد أنسيتني شيئا لكن لا بأس . عندما يذكر الناس الاسم لن يفرق القادمون بعده بين الأب وابنه وسيبرق اسم الزوجة إلي الأفق . سيتحدث العبيد عن سبارتكوس الحرية وتتحدث النسوة عن سبارتكوس الرجل الذي لم يجعله نضاله يكف عن تدليل زوجته .

–اه فهمت . تقصد أننا سنكون مدعاة للحسد والغيرة !!

–وهل يؤثر الحسد فينا حينها ؟ الحسد لسكان الارض أما سكان السماء فديئُهم الحرية الكاملة لا المنقوصة . فمهما عشنا وناضلنا لم نكن لننعم بالحرية التي حلمنا بها .

–ألم تعد تحب الحياة ؟

–بلي أحبها ، لكن لا بأس من بعض الحلم والأمل فيما وراءها طالما سأموت غدا .

–لكن هذا حديثٌ أشعر فيه –وإن كنت لا أفهمه عن أخره– أنه يحمل معني متناقضا !

–لا بأس من بعض التناقض في أخر حياتي هنا .

–أخشي أن يدفعك هذا إلي الخوف فتوصيني لابننا بعكس ما اوصيتني به منذ قليل . أخشي أن تُنهي حديثك بأن علميه الانحناء يا فارينيا فلا أمل للعبيد في التحرر .

–ربما فقد أخبرتك أنه لا بأس من بعض التناقض ، لكن مازال حبي للحياة وللحرية أقوي من أي شئ .

–أما زلت تحبني يا سبارتكوس؟

–وهل خامرك شك في هذا؟

–أليس حديثك هذا يبعث في نفسي الشك؟

–وهل وافقك قلبك هذا الرأي ؟ ماهو إلا تدلل السيدة علي خادمها وحارسها !

–لا لا تقل هذا .

iCulture
Empowering creative minds

ربت سبارتكوس على كتف زوجته هامسًا إليها :

–ألم أخبرك منذ برهة أن أحدا سيحسدنا حتما يوما ما . لن يلتفتوا إلي ما عانيناه علي يد السادة الرومان . لن يقفوا علي ماأحدثوه بين المجالدين . التلذذ بقتالنا . التهافت علي دمائنا . كل هذا لن يعبأوا به . ربما يحركون أعينهم ناحية السماء يومئون بحركة لا حول ولا قوة إلا بآلهتهم وبالطبع سينسون بطولات العبيد وقتالنا روما أربع سنوات . فقط سيقفون علي علاقة سبارتكوس وفارينيا وتبدأ النساء في الغيرة أن أحدا قد أحب زوجته وأخلص لها . أحدا كان صادقا لا يخفي شيئا عنها حتي ضعفه وانكساره . لن يعرفن معني أن يقف رجل ليقتل أخر أحبه بالأجر ويعود ليرتمي في حضن امرأة هي كل العالم له . يستحى أن يرى أحدُهم خطوطَ نضاله المرسومة على جسده إلا امرأته التى تحيلها حبالاً من الأمل وحب الغد . فكيف إن سمعت النسوة هذا ؟ تملكتهن الرغبة في هذا الرجل . يتساءلن هل حقا كان أحدا بمثل هذا الخلق مع زوجته وسيتكثرونها علي فارينيا !

وقفت فارينيا فزعة ، سارت جيئة وذهابا ، عادت إليه تسأله بهدوء :

–وهل عرفوني أو عرفوا ما عرفته فارينيا في سبارتكوس؟

–لأنهن ما عرفن عن فارينيا سوي الهيئة . لا أقصد التقليل منك يا عزيزتي فأنت الحبيبة ولا أحد سواك ولكن سيبدأن في التقليل منك وتري كل واحدة نفسها أجمل وأكثر فتنة منك معتبرة نفسها أحق بسبارتكوس . وكأن سبارتكوس تزوج فارينيا وأحبها لجمالها أو هيئتها . لكن لأنهن غبيات لا يعرفن لحياتهن هدفا أو قضية يغفلن الأمر الحقيقي .

ابتسمت فارينيا للمرة الاولي مُذ بدأ حديثهما ومالت إلي وجهه تسأله عن هذا الأمر فقال لها: الذوبان يا فارينيا . الشئ الذي جعلنا نتكامل ونتصاف فنحن نكدح معا . نقاتل معا . نأكل ونضحك ونبكي سويا . نقول الحق ولا نُخفِ شيئًا عن الأخر فنشعر دائما بأنفسنا . كلٌ بصاحبه . فغدونا أصحابا يا فارنيا وأنتِ تعلمين ما للصاحب من مكانة في النفس . فاتحدت كلُ الصفات والمراتب فينا فصرنا أسعد معا. هذا ما يغفلنه فينا يا فارينيا . يظنن أن البساطة والكفاح معا غير معقول فلا يثقون في بعضهم البعض . فأزواجهن سيمشون أكثر من نصف المشوار وحدهم حتي تشاركه امرأة فراشه فقط فلا تتعب له و معه . لا يشعرا بما نشعر به الآن يا فارينيا . سيسألها

iCulture
Empowering creative minds

وستكذب . وكذلك هو لأنهما لم يذوبا مثلنا . لم يزيلا الجدار بينهما فيغدو كلُ زوجٍ منهما يسير وحمله ثقيل وليس مثلنا يطير .

ابتسمت فارينيا فأشرقت ، ارتمي فيها سبارتكوس فاتحا صدره حتي استقرت فيه . لم يستطع القتال في يوم الغد أن ينتزعها منه . ترقبه وتصيح لكل ضربة خنجر سديدة لسبارتكوس . لا لا ، لن يأتي مثله . لن يجود الزمان بنظيرٍ له . فقط سيجود بمن نصارعهم ونحاربهم وهم كُثر ، "فخلف كل قيصرٍ يموت ، قيصر جديد"[٢] وسينتصروا لأننا فرادي لم نجد من يشاركنا الكفاح . وستمضي الحياة هكذا . نموت جميعا ويعيش سبارتكوس ومن حذا حذوه فقط .

[٢] مقتبسة من قصيدة أمل دنقل ، كلمات سبارتكوس الأخيرة

iCulture
Empowering creative minds